أعداء ثلاثة

للأستاذ محمود تيمور بك

أعداء الإنسانية كثير ، وصولتها في مملكة الشر قائمة على قدم وساق ، وإنها لتعيث في الأرض فساداً ما وسعها أن تعيث .

ومنذ نجمت هذه الأعداء قام في وجهها دعاة الخير ، وأحلاف الفضيلة ، يحدون من عدوانها على وجه الأرض ، ويكفون أذاها عن الناس .

وما برحت أسماعنا تهزها أصداء الحملة على ثلاثة من هذه الأعداء ، أوغلت في البغي ، وأمعنت في الشر ، فنهض لها قادة الأمة يشنون عليها غارة شعواء ... تلك هي : ثالوث الفقر والجهل والمرض .

وليس ينكر أحد ما لهذا الثالوث الكريه من جسيم الخطر ، فإليه مردّ ما تعانيه الأمة من آلام شداد ، وما يعتاق خطاها إلى الأمام من عقبات صعاب .

نيد أن هذه الأعداء الثلاثة على جسامة خطرها تبرز في المعسكر المادي للعيان ، وتغني في محاربتها عدّة حازمة حاسمة من وسائل الاقتصاد . فما أشبهها بالقروح الظاهرة ، داؤها مكشوف ، ودواؤها معروف ، إذا أنت أخذت فيها بأسباب العلاج ، خبيراً به ، محكماً له ، كان لك أن تستقبل طلائع الشفاء .

ثمة في حياتنا العامة أعداء باطنة تكمن في دخيلة النفوس ، ويسري أذاها في المجتمع مسرى الدم في العروق . وهذه الأعداء المعنوية هي التي يتعذر التخلص منها إلا بجهد ورياضة ومعاناة .

ومما لا ريب فيه أن المعنويات هي الأساس في سعادة الإنسان . فكلما صلحت المعنويات أفاضت من صلاحها على الماديات .

ليست تلك المعنويات إلا الروح ، وإذا قويت طاقات الروح لم تقو عقبة على أن يبقى لها سلطان .

متى توافرت للنفس عقيدة وإيمان ، مضت في طريقها تشقه ، حتى تروعك من أعمالها بالمعجزات .

أي مستطاع امرئ أن يسمو إلى مصاولة أعداء الإنسانية في المعسكر المادي ، دون أن يكون مدفوعاً إلى ذلك بعامل نفسي قوي موصول بحب الخير ؟

إن العالم يدين برفاهيته ، وبشمول الخيرات فيه ، لقوى نفسية أنخذت من المثل العليا رائدها في الطريق ، فأحبت الخير ، وعملت عليه ، وبذلت جهدها له ، حتى بلغت ما تريد .

المعنويات إذن هي نواة الرقي المادي . فإذا شئنا أن نعلي من شأن الماديات في حياتنا العامة ، فعلينا أولا أن نجند قوى النفوس للتخلص من أمراض النفوس .

ويلوح لي أن أعداء الإنسانية في المعسكر النفسي ثلاثة : الحسد ، والبغض ، والحقد .

وإن شئت قلت : إنه عدو واحد ، يتشكل في ثلاثة أطوار من حياته ، يبدأ في طور الطفولة حسداً ، ثم يجتاز طور الشباب بغضاً ، ثم يكون في كهولته حقداً .

يمد المرء عينه إلى ما حوله فإذا هو حاسد ، ولا يلبث أن يسلمه الحسد إلى إبغاض لمن يحسده ، وما هي إلا أن يحقد عليه ، فيطوي النفس على إيذاء له ، وإيقاع به .

ذلك العدو الثالث هو حجر الزاوية في مأساة البشرية ، وليس ميدانه مقصوراً على الفرد وحده ، ولكنه يتعداه إلى الجماعات على اختلافها ، بل إنه يتخطاها إلى الدول على تفاوتها ، وإلى الأجناس على ما بينها من تباين .

ولكي يناهض الإنسان هذا العدو الصميم ، عليه أن يواجهه في معسكره الأول ، أعني نفس الفرد . فإذا انكشفت عن الفرد عداوته ، لم يتبسط لها ظل في الجماعات والدول والأجناس .

ولا تحسبن النفس الواحدة من الضآلة بحيث يتيسر علاجها على كل طالب ، فإن هذه النفس عالم زاخر يحتاج إلى تنظيم وتدبير وسياسة لا تقل عن تنظيم الممالك وتدبير الأمم وسياسة الدول .

متى اشتملت نفس بهذه العداوة المثلثة عانت حالة من الضعف والمرض ، وهذه الحالة لا تصيب النفس بدافع الحرمان وحده ، فكم من نفوس حسدت فأبغضت فحقدت ، لغير مسوّغ من حاجة ملجئة ، أو ضرورة داعية .

مرجع هذه العلة النفسية إلى بدرة الأنانية ، تلك التي تجعل النفس في بوتقة من القلق والاضطراب ، يهيجها ما تراه حولها من خير ينصرف دونها إلى سائر الناس . فهذه النفس لا تسكن ولا تقر إلا إن وقفت بمرصد ، لترد عن السبيل خطوات الساعين إلى الغايات .

كيف نكافح هذا العدو المثلث ؟

كيف نهوّن من بطشه إن عزّ علينا أن نستأصل شأفته ؟

كيف السبيل إلى أن نوفر للنفس حظها من الصحة والعافية ، فيجتمع لها من القوة والثقة ما تعتصم به من شر ذلك المرض الوبيل ؟

لاجدوى لمختلف العقاقير والأدواء في علاج أمراض النفوس ، فالسبيل إلى شفائها مرهون بترويضها على إيثار الخير ، وحب الغير . . .

ليس في مقدورنا أن نروض أنفسنا على الخير الشامل دفعة واحدة ، فالنفس حرون ، وإن النفس لأمارة بالسوء ، ولا بد لها من مدارجة وملاينة ، حتى تأبى الجماح ، وتخفض الجناح .

ليأخذ المرء نفسه بادىء بدء بحبّ أقرب الناس إليه ، وفي ذلك الميدان يتسنى له أن يقنع النفس بالحدّ من الأنانية ، فيهب من يشاركهم في العيش فضل سعيه ، وموفور إخلاصه . ثم يخطو بخيره درجة أخرى ، فيضم إلى أهله من يجدهم من حوله أعواناً وإخواناً . وان يستعصي عليه بعد ذلك أن ينزل عن أنانيته طوعاً لمن لا صلة بينه وبينهم إلا صلة الإنسان للانسان .

وبذلك التدرج في ترويض النفس على التخلص من الأثرة والأنانية ، تتأصل تلك النزعة والإنسانية من الحب والخير . وفي هذا كسب للبشرية عظيم !

أذكر — فيما أذكر — قصة فتى فنان الروح ، كان بالريحان ولوعا ، فأراد أن يستنبت وردة مثالية لا عهد بها الأحد ، فقضى أعواما يزاول تجاربه لجمع خصائص الورود الزكيه في وردته المنشودة . وكانت تصاحبه فتاة رعناء ، يطوى لها قلبه على حب فوّار ، فأغدق عليها عطفه ، واحتمل رعونتها في مصابرة ومطاولة ، وأعانه حبه لصاحبته على أن يظل ساعياً لخيرها ، لا يبالي أنانية نفسه وحقها عليه . وبينما كان الفتى مسترسلا في تجارب الورود ، كانت الفتاة تفكر في حسن معاملته لها ، وصبره على أذاها . فأخذت تحاسب نفسها على ما كان منها ، ورجعت تتودّد إلى فتاها في دماثة خلق ؛ ولين جانب .

ويوما جاس الفتى مغتبطا ، يتحسر لإخفاقه في استنبات الوردة المثالية ؛ فجاءته الفتاة مترفقة به ، تسأله : فيم تفكر ؟

فابتسم لها ابتسامة يأس . فقالت له ، وهي تلاطفه :

ألا يكفيك أن أكون وردتك المثالية التي نجحت في خلقها خلقاً جديداً ؟

فإذا أردنا أن تكون الحياة روحاً وريحاناً ، فلنحرص على أن نستنبت في نفوسنا تلك الورود المثالية التي يضوع منها عطر المحبة والإخاء !

محمود تيمور

أحمد حسن الزيات

يقدم

دفاع عن البـــلاغة

كتاب يعرض قضية البلاغة العربيـة أجل معرض ويدفع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة ... الخ .

من فصوله المبتكرة الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

طبع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد